مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at: http://scientific-journal.sustech.edu/

الأغراض البلاغية للتقييد بالشرط في القرآن الكريم

ستنا محمد على حمد* *

المستخلص

تناولت هذه الورقة أسلوب الشرط عند البلاغيين والنحاة، باعتباره قيداً من قيود الجملة، ودراسة الضوابط التي وضعوها، والوقوف على الفوائد والمعاني التي أفادها أسلوب الشرط في القرآن الكريم. واستكشاف بلاغته التي هى سبب أساس في إعجازه، وقد عنى البلاغيون عناية فائقه بتقييد المسند بأدوات الشرط: (إن) و (إذا) و (لو) وقد تناولنا هذه الأدوات الثلاث بالدراسة لكثرة مباحث البلاغيين فيها، إذ قالوا (إن) للشرط في الاستقبال، وهى للشرط غير المقطوع بوقوعه، فإن جاءت للمقطوع به كان عدولاً لأغراض بلاغية، وتأتي للمحتمل، والمشكوك فيه والنادر. و(إذا) للشرط المقطوع بوقوعه أو المرجح والمعاني المحققة، لذا يأتي معها الفعل الماضي فإن جاء بعدها المضارع كان عدولاً لأسباب بلاغية، والفرق الكائن بين دلاليتها تتفرع منه دلالات كثيرة بمعونة القرائن والسياق.أما (لو) فهي للشرط في الماضي، مع القطع بانتفاء الشرط الذي يلزم منه انتفاء الجواب، ولا يمتنع استعمالها في المستقبل لتفيد معاني إضافية، والماضي في باب الشرط يجرى مجرى المضارع، لأن الشرط للاستقبال، وجملتا الشرط فعليتان، والفعل يدل على التجدد والاستمرار لاسيما المضارع، أما الاسم فيدل على الثبات، لذا لزم جملة الشرط الفعلية.من أهداف البحث: أن يجعل القارئ يتذوق أسلوب القرآن الكريم والموازنة بين قواعد النحو والبلاغة لا سيما علم المعاني الذي ثبت به وبفروع علم البيان جميعها إعجاز القرآن الكريم بيانياً، ثم إثبات أن أدوات الشرط مع أفعالها وصيغها في سياقاتها ما جاء على الأصل وما عدل عنه أفاد إفادات بليغة.وقد توصل البحث لنتائج منها: أن أسلوب الشرط من الأساليب التي تؤكد العلاقة الوثيقة بين قواعد النحو ومعاني البلاغة لا سيما في القرآن الكريم، وبذلك يسهل تذوقه وفهمه، كما أنَّ العدول في استخدامات أدوات الشرط وصيغ أفعاله داخل سياق القرآن الكريم أفاد معاني بلاغية كثيرة، ثم إن ما جاء على أصل وضعه أيضاً فاضت سياقاته بمعان، وعلى ذلك فالمعاني التى أفادها أسلوب الشرط ماجاء على الأصل وما عدل به افاد إفادة جليلة ومعانٍ منها: التنزية ، والتنبه ، والتغليب، والتهكم ، والسخرية ...الخ والمعول عليه مع الصحة اللغوية، الاحتكام إلى السياق والمقام والذوق البلاغي.

ABSTRACT:

This paper investigated the concept of the conditional style as viewed by grammarians and rhetoricians who have regarded it as restriction to a sentence. It examined the rules that are set by them, it explored the benefits and the meanings that are provided by them ,

* قسم اللغة العربية- كلية اللغات- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
الهاتف: 0911633301 - البريد الالكتروني: Sittanamohamed1988@gmail.com

highlighting the rhetoric of the conditional clause which is basically a source of its great miracle.The air of this research: it helps a reader to appreciate the style of the Holy Quran and to compare and contrast between the rules of grammar and rhetoric In addition to semantics. It has also confirmed The Conditional articles with their tenses in their contexts as well as their conversions have greatly contributed.The study has reached the following findings: The conditional style has proves that there is a strong relationship between the grammatical rules and rhetoric in the Holy Quran. The conversion in uses of the conditional articles, besides its original forms, verb classes in the context of the Holy Quran have provided a lot of rhetorical meaning such as Warning, sarcasm, long etc .

الكلمات المفتاحية:
المحال الإبهام التصوير الفرض التطرية

المقدمة :

الحمد لله المنعم على عباده والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد :

ما دمنا نحرص على لغتنا العربية التي تكفّل الله – جلّ وعلا بحفظها ، وجب علينا الحرص على بلاغتنا العربية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بإعجاز القرآن الكريم ، فقد حرص علماء البلاغة على البحث في البلاغة التي توجد في القرآن ولا توجد في كلام الناس. وبحثوا كذلك عن عناصر البلاغة المشتركة بين القرآن وكلام الناس في الشعر والخطب ...فثبت عجزهم عن أن ياتوا بمثل القرآن الكريم . وما شاقني ودفعني للبحث فيه على الدوام هو علم المعاني الذي ارتبط بالنحو. والبلاغة ليست بمعزل عن علم النحو لان دراسة التركيب النحوي تقوم على الوصول إلى المعاني الإضافية وهي مؤسسة على علم النحو . ومن أروع ما كتب البلاغيون فيه أسلوب الشرط الذي يُعَدُّ من عظيم فنون القول حيث يزداد به الكلام ألقاً وتكشف به خبيئات المعاني ودقائق الأسرار، والشرط كثير الورود في القرآن الكريم منه ما جاء اصلاً وما جاء معدولاً به عن أصله، فالشرط شأنه شأن غيره له دلالتان : وضعية، ومجازية تفهم من السياق ، وفيه يخرج الشرط عن معناه ليفيد معاني وأغراضاً بلاغية لاحصر لها فالشرط ينشئ معاني يقتضيها المقام قاصداً إعلام المخاطبين بها . يتكون أسلوب الشرط من أداة الشرط ، ثم فعل الشرط ، وجواب الشرط ، فأصل الشرط والجواب أن يتوقف الجواب على الشرط ، أي يتوقف جواب الشرط على فعل الشرط بمساعدة الأداة، وهذه الدراسة مقصورة على ثلاث أدوات هي "إن " و " إذا " و " لو " فإنَّ " إنَّ " و " إذا " للشرط في الاستقبال أي هما لتعليق أمر بغيره في المستقبل ، واستخدام " إن " الشرطية مع الفعل الماضي يأتي لسر بلاغي ، وذلك لأن الأصل في الشرط الاستقبال وهذا يعني أن " إن " تستخدم في الشرط غير المقطوع به فإن استخدمت مع المضارع كان عدولاً وخروجاً عن مقتضى الظاهر لأغراض البلاغة . أما " لو " فهي للشرط في الماضي لأنها حرف امتناع لامتناع ، لكن لا يمتنع استعمالها في المستقبل وهنا تقدر بـ(إن) . (إذا) يستخدم معها الماضي فإن جاء بعدها المضارع كان ذلك لأغراض بلاغية .

وهكذا فاسلوب الشرط يُعَدُّ أحد مفاتيح الإعجاز البلاغي.

أهداف البحث :

1–توقيف القارئ على تذوق بلاغة القرآن ، التي تمتع العقول ، وتمتع العاطفة ، وتفهم الغامض من خلال الدراسة التطبيقية لأسلوب الشرط .

2– توضيح العلاقة بين قواعد النحو والبلاغة والدلالات اللغوية .

3-التوكيد على أن القرآن الكريم معجز من خلال استخدامات وتقارير معاني أدوات الشرط : (إن) و (إذا) و (لو).

4-التوكيد على أن الشرط للاستقبال، فإن كان فعله ماضي اللفظ فهو مستقبل المعنى، وعدول الفعل عن دلالته على زمنه يأتي لأغراض بلأغية .

5-تبيين المعاني البلاغية التي يؤديها أسلوب الشرط في القرآن الكريم ، والتي يقتضيها المقام ، قصداً لإعلام المخاطب، وإثارته .

أهمية البحث :

جاءت أهمية الدراسة من أنها في كتاب الله العزيز وذلك للإسهام في فهمه وإجلاء معانيه التي تضمنها أسلوب الشرط ليهتدي أبناء المسلمين لدينهم القويم ويتمسكوا به لينالوا الثواب ، كما تمثلت أهميته في أنه يربط بين قواعد النحو والبلاغة ويساهم في جمع شتات مادة أسلوب الشرط ، والمعاني التي فاضت بها سياقاته لاثبات إعجاز القرآن الكريم من خلال أسلوب الشرط الذي يشتمل على معانٍ بلاغية حسب الأدوات والأفعال المستخدمة حسب وضعها في اللغة ، أو المعدول بها عن وضعها لتنبيه المخاطب .

أسئلة البحث :

1- ما أصل الشرط والجزاء ، وبأي الأزمنة يتعلقان ؟

2- أي أدوات الشرط أكثر استخداماً ؟ ولماذا ؟

3- ما أهم الأغراض والمعاني البلاغية التي يؤديها أسلوب الشرط ؟

التقييد بالشرط عند البلاغيين :

اجتهد علماء البلاغة للوصول لسمات دقيقة لأسلوب القرآن الكريم من خلال دراساتهم ، لأنهم يدركون أن البلاغة جانب أساسي لبيان إعجاز القرآن ، لاسيما في جملة الشرط ، وذلك أن تقييد المسند باداة من أدوات الشرط يأتي بلطائف بلاغية دقيقة ومعانٍ غزيرة حيث قال أحدهم : (التقييد بالشرط يأتي لأغراض كثيرة)[1]. كما أنهم لاحظوا أن الشرط والجزاء لهما وجوه كثيرة (... وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك زيد منطلق ....وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك (إن تخرج أخرج) و(إن خرجت خرجت) و (إن تخرج فانا خارج) و(أنا خارج إن خرجت) و (وأنا إن خرجت خارج)[2].

وهذا يدل على ان لكل عنصر من عناصر التركيب صوراً ، وأوضاعاً متعددة ، ولكل حالة مكانها الخاص بها كي تعبر عن معناها الدقيق المحدد الخاص به وكانت الأمثلة التي أتى بها الجرجاني رحمه الله – دليلاً على الصور الكثيرة التي يأتي عليها الشرط والجزاء ومثل ذلك الحال. وقد أرجع كل ذلك إلى النظم. وعلى ذلك فإن الشرط هو تعليق فعل بفعل أي هو ربط مقدمة بنتيجة اي أن يقع الشيء لوقوع غيره نحو (إن تذاكر تنجح) أي يتوقف نجاحك على المذاكرة وهذا هو الأصل في أسلوب الشرط . ولكنه قد يخرج من هذا المعنى إلى معان تفهم من السياق.

يتكون أسلوب الشرط من أداة الشرط ، وفعل الشرط ثم جواب الشرط .

ويشترط في فعل الشرط ألا يكون ماضي المعنى فلا يجوز (إن قام زيد أمس أقم معه) أما قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ

(1) الخطيب القزويني(2008م – 1428 هـ) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، ص 95.

(2)الجرجاني، عبد القاهر(1417هـ – 1997م) دلائل الإعجاز ، شرحه وعلق عليه ، د. محمد التنجي ، دار الكتاب العربي، ط2 ، ص63.

أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[3] . فالمعنى إن تبين إني كنت قلته أي إن حدث العلم ، ومن شروطه أن لا يكون طلباً فلا يجوز (إن سافر) وألا يكون جامداً فلا يجوز (إن عسى) وأن لا يقترن بسوف ولا قد، ويقع فعل الشرط ماضياً ومضارعاً ، والماضي يكون معدولا به عن المستقبل والعدول هو خروج عن النمط المألوف للغة وهو نوع من الاداء اللغوي،أو أسلوب لغوي معين يستخدم لأغراض.وذهب صاحب البرهان إلى الآتي : إن تقدم أداة الشرط جملة تصلح أن تكون جزاء ثم ذكر فعل الشرط ولم يذكر له جواب نحو : (أقوم إن قمت) (وأنت طالق إن دخلت الدار) فلا تقدير عند الكوفيين بل المقدم هو الجواب ، وعند البصريين دليل الجواب[4].كما ذكروا أن واو الحال إذا دخلت على أداة الشرط لم يحتج إلى جواب نحو: أُحسن إلى زيد وإن كفر ، كما ذكروا أن الجزاء والشرط لابد أن يتغايرا لفظاً ، وقد يتحدان فيحتاجان للتأويل كقوله (إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ)[5]:.فقيل على حذف الفعل أي من أراد التوبة ، فإن التوبة معرضة له[6].

أدوات الشرط :

يكون الشرط بأدوات الشرط – أو حروفه ، وكونها حروف ، أو أسماء أو أدوات مختلف فيه ، نرى أن ماقاله صاحب البرهان الأولى (ادوات الشرط حروف وهي "إنْ" وأسماء مضمنه معناها ، ثم منها ماليس بظرف كمن ، وما ، وأي ، ومهما ، وأسماء هي ظروف : أين ، وأينما ، ومتى ، وحيثما وإذ ما ، وأقواها دلالة على الشرط "إن" لبساطتها)[7] وسنحصر بحثنا إن شاء الله في ثلاث منها وهي : "إن" و "إذا" "ولو" وذلك للمعاني البلاغية التي تفيدها السياقات التي وردت فيها ، ولاهتمام النحاة وعلماء البلاغة والتفسير بها ، فقد تحدث البلاغيون عن تقييد المسند بها في مباحثهم ، ونصطلح عليها جميعاً بأنها أدوات وبيان كلٍّ فيما يلي:

إنْ :

أداة شرط جازمة مبنية على السكون تجزم فعلين فعل الشرط وجوابه.وردت هذه الأداة في القرآن الكريم وفي أشعار العرب كثيراً جداً و أفادت معاني بلاغية كثيرة سواء خالفت أصل استعمالها ، أو جاءت على الأصل ، لأن أصلها للشرط في الاستقبال أي تقييد حصول الجزاء لحصول الشرط في الاستقبال مثل قولك : (إن جئتني أكرمتك) إن كنت غير قاطع بمجئ مخاطبك . أي هي للدلالة على مجرد تعليق الجواب على الشرط ، ومن خواصها أن تستعمل لما يحتمل وقوعه وقد تخرج على الأصل ويعدل بها إلى المحقق وقوعه لأنها قد تحل محل "إذا" . ومعني ذلك أنه يجوز في السعة أن تحل محلها في المعنى وهنا تفيض سياقاتها بالمعاني والأغراض البلاغية ، وجاء من ذلك قول أبي تمام :

إنْ يعَدُ من حرِها عَدْوَ الظليم

فقد أوسعت جاحمها من كثرة الحطب

وهنا يتجلى جمال أسلوب الشرط حيث قال خلفت به جيشك ليقتلون من فيها ، وجعلتهم حطباً لنيران الحرب ، والغرض إظهار شجاعة الممدوح وقد ذهب صاحب الإيضاح الي أنها "قد تستعمل في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة كالتجاهل"[8]. ومن استعمالها في المحتمل

([3]) سورة المائدة، الآية (116)

([4]) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (1427 هـ – 2006م) البرهان في علوم القرآن، حققه: أحمد على، أبي الفضل الدمياطي ، ج1، دار الحديث ، القاهرة، ص528 .

([5]) سورة مريم، الآية 60.

([6]) الزركشي، البرهان ، مرجع سابق، ص528.

([7]) المرجع السابق، ص522.

([8]) الخطيب القزويني ، الإيضاح ، مرجع سابق، ص 95 .

قوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [9] (وهم عباده عذبهم أو رحمهم)[10].

إذا :

ذكر صاحب الإتقان (إنها على وجهين أحدهما أن تكون للمفاجأة فتختص بالجمل الاسمية ، ولا تحتاج لجواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال نحو : ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [11] .قال بن الحاجب : (ومعنى المفاجأة حضور الشيء معك في وصف من أوصافك الفعلية ، تقول : خرجت فإذا الأسد بالباب ، فمعناه حضور الأسد معك في زمن وصفك بالخروج أوفي مكان خروجك واختلف في حرفيتها وظرفيتها .... الثاني أن تكون لغير المفاجأة فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط ، وتختص بالدخول على الجمل الفعلية وتحتاج لجواب وتقع في الابتداء)[12]. والفعل بعدها إما ظاهر نحو : قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [13]. او مقدراً وهنا يأتي بعدها اسم مثل قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [14] والتقدير "أنشقت" .والأصل في " إذا " أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول : (إذا زالت الشمس أتيك) إذا كنت قاطعاً بزيارتك له أو مرجحاً. ذلك جواب "إذا " الشرطية قد يكون فعلاً مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ [15] أو جملة أسمية مقرونه بالفاء نحو : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [16] وقد تخرج عن الشرطية نحو ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [17] . فهي ظرف لخبر المبتدأ بعدها، إذا تستعمل في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية مع أن الأكثر استعمالها مع الماضي، ومن استعمالها في الماضي نحو : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾ [18].

وقد ذكر كثير من العلماء أن (إذا) تأتي في الشرط المقطوع بوقوعه تقول : "إذا جئتني أكرمتك " إذا كنت قاطعاً لمجيئه أو مرجحاً ذلك[19]. والفعل المضارع بعد إذا يجيء على غير القاعده لأنه يكون في حكم الماضي (فاذا) يليها الفعل الماضي ويدل على المستقبل ويليها المستقبل ويدل على الماضي والشرط كله لا يتعلق إلا بالمستقبل، وماضي اللفظ يدل على الاستقبال في المعنى نحو: (إن احترمت الناس احترموك) فالجواب أصله المستقبل.

لو:

من أدوات تقييد الفعل بالشرط ويقال : إنها تستعمل في الشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم منه انتفاء الجزاء[20]. ولذلك فهي لامتناع الشيء لامتناع غيره أي يلزم منها امتناع الجزاء ، لامتناع الشرط لانّ الأول سبب والثاني مسبب نحو : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [21]. القصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا فيكون المعنى، إن امتناع عنتهم بسبب امتناع استمراره على اطاعتهم وهنا الاستمرارية دل

([9]) سورة المائدة، الآية .118.

([10]) الزركشي ، البرهان ، مرجع سابق، ص520.

([11]) سورة طه، الآية 20.

([12]) السيوطي، جلال الدين(2006م – 1426هـ) الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: حامد أحمد الطاهر بسيوني، دار الفجر القاهرة ، ص447.

([13]) سورة النصر، الآية 1).

([14]) سورة الإنشقاق، الآية 1.

([15]) سورة غافر، الآية 78.

([16]) سورة المدثر، الآية 8– 9.

([17]) سورة الشورى، الآية 37.

([18]) سورة النساء، الآية 142.

([19]) محمد محمد أبو موسى(1427هـ – 2006م) خصائص التراكيب، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص 322.

([20]) الصعيدي، عبد المتعال(د.ت) بغية الإيضاح ، ج1، مكتبة الآداب ومطبعتها بالحما ميزه، ص197 .

([21]) سورة الحجرات، الآية 27.

عليها الفعل المضارع ، وقد ذهب بعضهم أنها للاستدلال أى تكون للاستدلال العقلي وذلك فيما إذا كان انتفاء الجزاء معلوماً وانتفاء الشرط غير معلوم فيؤتى بها للاستدلال بالمعلوم على المجهول أي لأجل تحصيل العلم بالمجهول فهي حينئذٍ للاستدلال على امتناع الأول بامتناع الثاني) [22].وذكر السيوطي : أنها حرف عطف ترد لمعان منها : الشك من المتكلم نحو : ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[23]. والإبهام على السامع نحو : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [24] . والتخيير بين المعطوفين نحو : (بأن يمتنع الجمع بينها ، والإباحة : بالأ يمتنع الجمع بينها)[25]. أمّا بعضهم فذكر أن جملتيها فعليتان ، ولا تدخل على الأسم، وتدخل على الماضي ، وقد تدخل على المضارع وتقلب معناه للماضي فهي كما ذكر النحاة : (تصرف المضارع وتقلب زمنه إلى المضي ما لم تكن بمعني "إن" [26].وقد ذكر ابن مالك أنها : (حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه ، واستلزامه لتاليه واستعمالها في المضي غالباً)[27] . وما دامت أنها تستعمل في المضي غالباً لا يمتنع استعمالها في المستقبل إذا كانت بمعنى (إن).ومن خصائصها أن يقع الفعل المضارع بعدها دالاً على المضي مراداً به المضي مثل : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [28].

القصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً، وقيل يمنع عليه السلام عنتكم بسبب استمرار امتناعه عن طاعتكم[29] .أو أن يقع الفعل المضارع بعدها موقع الماضي مراداً به الاستقبال نحو قوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [30] . المضارع بعد لو نزل منزلة الماضي وقيل (إذا) هي التي حولت معناه للماضي.وقد ذهب الزمخشري إلى أنه قال : (لم قيل يطيعكم دون إطاعتكم؟ قلت للدلالة على أنه كانت إرادتهم استمرار عمله على ما يستصحبونه وإنه كلما عنّ لهم رأى في أمر كان معمولاً عليه بدليل قوله (في كثير من الأمر)[31]. واستعمال الماضي في موضع المستقبل من العدول الذي يمثل البلاغة خير تمثيل لأنه لتطربة نشاط السامع، والنفس تمل الكلام الجاري على نسق واحد ، فهو ينفي السأم والملل .

الأفعال في جملة الشرط :

المناسب للشرط الفعل لأنه يدل على الحدوث والتجدد بخلاف الاسم الذي يدل على الثبوت الذي ينافي التعليق الذي هومعنى الشرط .فالشرط هو تعليق فعل بفعل أي ربط مقدمة بنتيجة ، وهو من أجمل الأساليب ، وأوسعها معنى ، وقد تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني في باب الفروق في الخبر عن دلالة الفعل فقال : (وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ، فمثلاً إذا قلت : زيد ينطلق زعمت على أن الانطلاق يقع جزء فجزءاً

([22]) الدسوقي، محمد ابن أحمد(1423هـ) حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، ج2، مكة المكرمة ، دار الباز مصطفى محمد عرفة ، ص72.

([23]) سورة الكهف، الآية 19.

([24]) سورة سبأ، الآية 24.

([25]) السيوطي، الإتقان ، مرجع سابق، ص 470.

([26]) ابن مالك، جمال الدين محمد(1410 هـ) شرح التسهيل، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي ط1،ج4، دار الهجرة ، جيزة ابن مالك ابن مالك محمد ابن أحمد ، التسهيل، ص93.

([27]) ابن مالك جمال الدين، شرح التسهيل، مرجع سابق، ص 5.

([28]) سورة الحجرات، الآية 7.

([29]) السكاكي (1985 – 1402هـ) المفتاح ، ص ، 118 .

([30]) سورة السجده، الآية 12.

([31]) الزمخشري ، محمود بن عمر (1385هـ – 1966م) الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج4، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، ص352.

وجعلته يزوله[32]. وهذا يدل على أن الفعل يدل على التجدد والاسمترار ، ويفرق بين استخدام الاسم والفعل فيقول : " فإذا قلت : (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلاً له ، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : (زيد طويل "و" عمرو قصير)[33]. والطول والقصر لا يتجددان ، و معنى هذا أن الجملة الاسمية تدل على الثبات وقد أورد الجرجاني أمثلة كثيرة دلل بها على الفروق بين استخدام الاسم والفعل ومن ذلك قول الشاعر:

لا يآلف الدرهم المضروب خرقتنا

لكن يمر عليها وهو منطلق

يعلق على ذلك قائلاً (هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل : (لكن يمر عليها وهو ينطلق) لم يحسن)[34] وكذلك ذكر بيت الشعر التالي:

أوكلما وردت عكاظ قبيلةٌ

بعثوا إليَّ عريفهم يتوسمُ

ذكر البيت السابق ليؤكد أن الفعل يدل على التجدد حيث قال معلقاً : (بعثوا إليَّ عريفهم (يتوسم) وذلك لأن المعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف حالاً فحال)[35] لذا استخدم الفعل (يتوسم) ليدل على ذلك، والشرط كما قال الزركشي : (لا يتعلق إلا بمستقبل فإن كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى ، كقولك : إن مت على الإسلام دخلت الجنة) [36] وذكر النحاة أن الفعل يغير لفظاً لا معنى ، ففي المثال السابق مثلاً : (إن مت على الإسلام تدخل الجنة) مستقبلاً ولهم راى آخر وهو يغير المعنى، أي قلب معنى الفعل للاستقبال ويبقى لفظه على حاله يقول الزركشي : (و الأول أسهل (أي تغيير اللفظ) لأن تغيير اللفظ أسهل من تغيير المعنى[37].وقد نبه صاحب التسهيل في باب الجوازم على أن فعل الشرط لا يكون إلا مستقبل المعنى و اختار في (كان) مذهب الجمهور أي إذا كان الفعل (كان) يبقى على حاله في المضي ، وذكر آخرون أن حرف الشرط (في جملة كان الشرطية) دخل على فعل مستقبل محذوف فمثلاً قوله تعالى : (إن كنت قلته فقد علمته)[38] التقدير على رأى هؤلاء (إن أكن كنت قلته) والمختار أن الفعل في الشرط لا يكون إلّا مستقبلاً .وذكر الزركشي أنه (قد يتعلق الشرط بفعل محال يستلزمه محال أخر ، وتصدق الشرطيةَ دون مفرديها ، أما حرفها فلاستلزام المحال ، وأمّا كذب مفرديها فلاستحالتها وعليه قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [39](فانتفى أن يكون للرحمن ولد اوانتفت على ذلك العباده) [40].

ويذكر البلاغيون أن جملتي الشرط والجواب يلزم أن تكونا فعليتين[41].

وعلى ذلك : يقع فعل الشرط مضارعاً كقوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ ﴾[42] ويأتي ماضياً والماضي يخرج إلى الاستقبال مثل قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[43] وقد يأتي بالمضارع مراداً به المضي مثل

([32]) الجرجاني، عبد القاهر(1413هـ – 1992م) دلائل الإعجاز ، شرحه وعلق عليه: د. محمد التنجي، ط2، دار الكتاب العربي، ص 174.

([33]) المرجع السابق، ص174 .

([34]) المرجع السابق ، ص175.

([35]) المرجع السابق، ص177.

([36]) الزركشي ، البرهان ، مرجع سابق، ص531.

([37]) المرجع السابق، ص532.

([38]) سورة المائدة، ص116.

([39]) سورة الزخرف، ص81.

([40]) الزركشي ، البرهان ، مرجع سابق، ص536.

([41]) الصعيدي ، بقية لإيضاح ، مرجع سابق ، ص198.

([42]) سورة ابراهيم، الآية 19.

([43]) سورة الزمر، الآية 68.

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾[44] هذا غير باب الشرط وكثيراً ما يأتي الماضي ليفيد الاستقبال وذلك بغرض بلاغي كانزال غير المتيقن منزلة المتيقن ، وغير الواقع منزلة الواقع وعلى ذلك فسروا قوله : ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ ﴾[45] حيث قيل جيء بهذا الفعل على صيغة الماضي وإن كان مستقبلاً للدلالة على أنه متيقن الحصول وإنه بمنزلة الفعل الماضي في التحقق وقال ابن جني : (وكذلك قولهم إن قمت قمت) فيجيء بلفظ الماضي والمعنى فجاء معنى المضارع، وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كأنّ هذا قد وقع واستقر لا أنه متوقع مترقب)[46]. وقد ينزل الماضي منزلة المضارع لأسباب بلاغية نستعرضها لاحقاً إن شاء الله .والماضي يأتي في الشرط للدلالة على وقوع الحدث جملة واحدة وإن كان مستقبلاً ، ويأتي المضارع لما كان ينقضي وينصرم شيئاً فشيئاً ، وهذا يعني الاستمرار فمثال الأول قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ ﴾[47] فالإحصار يقع جملة واحدة، والثاني مثاله قوله تعالى : ﴿فِى ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[48] فالمخالطة مستمرة متطاولة .وفي قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[49] يقول النسفي : (أي لا تؤاخذنا إن تركنا امراً من أوامرك سهواً أو خطأ ، وإذا حصل منا نسيان أو خطأ ، أي وقع وهو يحصل جملة واحدة)[50].

تكلم سيبويه عن الفعل المضارع الدال على المضي بعد أداة الشرط (إذ)(وهو في دلالته على المضي معدولاً به عن ظاهره)[51] قال سيبويه (وسألته أي الخليل عن إذا ، ما منعهم أن يجازوا بها ؟ فقال : الفعل في إذا بمنزلته في إذ ، إذا قلت : أتذكر إذ تقول، فإذا فيما تستقبل بمنزلة إذ فيما مضى) ، ويبني هذا أنّ إذا تجيء وقتاً معلوماً ، ألا ترى أنك لو قلت : إن احمرّ البسر حسناً ، ولو قلت آتيك إن احمرّ البسر قبيحا(فإن) ابداً مبهمه .....)[52]. وفيه يقول ابن مالك :

وماضيين ، ومضارعين * تلقهما أو متخالفين**[53]

.بيان ذلك : أنه إذا كان الشرط والجزاء جملتين فعليتين فيكونان على أربعة أنحاء.

الأول – أن يكون الفعلان ماضيين نحو : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم).

الثاني – أن يكونا مضارعين : نحو (وإن تبدو مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) .

([44]) سورة فاطر، الآية 9.

([45]) سورة الكهف، الآية 47.

([46]) ابن جني، عثمان بن جني(1376 هـ) الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار، ج2، دار الكتب المصرية القاهرة، ص 418.

([47]) سورة البقرة، الآية196.

([48]) سورة البقرة، الآية22.

([49]) سورة البقرة ، ص 286 .

([50]) النسفي ، تفسير النسفي ، ج1، ص144.

([51]) ظافر بن عرمان العمري(1429هـ – 2008م) بلاغة القرآن ، ط2، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص22.

([52]) سيبويه، عمرو بن عثمان(1408هـ) الكتاب، تحقيق: وشرح عبد السلام هارون ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، ص60.

([53]) ابن مالك، جمال الدين محمد(1421هـ – 2000م) شرح بن عقيل ، تحقيق: محمد محي الدين ، دار الفكر، ج1، بيروت، لبنان، ص368.

الثالث – أن يكون الأول ماضياً والثاني مضارعاً نحو: إن قام زيد يقم عمرو .

الرابع – أن يكون الأول مضارعاً والثاني ماضياً نحو:

من يكدني بشيء كنت منه

كالشجا بين حلقه والوريد [54]

.ويكثر التعبير بالماضي عن الحكم الثابت القائم على المشاهدة والتجربة الماضية وهو ما يكون في الحكم من ذلك قولنا : (من كد وجد) ، والشرط في أحيان كثيره يدل على الحال .

وعند حديث النحاة عن الأدوات قالوا إن "لو" تأتي قبل المضارع لاستحضار الصورة المرتقبة ، وتفيد معاني بلاغية مثل الإنذار والتهويل والتخويف والمضارع بعدها يقع موقع الماضي نحو : ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾ [55].

وبما أنها للشرط في الماضي وقع المضارع شرطاً لها فصرفته إلى الماضي لأنه أريد استحضار حالة ماضية، وإن كان المضارع بعدها متعيناً للمستقبل فاوله الجمهور بالماضي في جميع مواقعه[56] يقول بعض الباحثين : إن (إذا) ظرفيه وهي التي وجهت دلالة الفعل الزمنية ولكن نقول إنها لم توجهها لوحدها بل بمعونة لو ، لكن ويجوز أن نقول أكدت الزمن .ووقوع الماضي شرطاً هو محل دراسة البلاغيين لأنه يخالف الأصل أو يعدل به عن استعماله الأصلي وهو المضي وفي جملة الشرط يفيد الاستقبال، لأن الاستقبال أصلاً في الشرط .وعلى ذلك فالفعل الماضي الذي يعبر عن المستقبل، إن سبق بفعل تدل صيغته على الاستقبال وجب أن يكون الماضي مراداً به الاستقبال . والبلاغة تهتم بالمخالفة أي العدول، وقد سماه ابن الاثير الالتفات (اعلم أن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي[57] ومثل بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [58] جاءت تثير مستقبلاً وماقبله ومابعده ماضياً لحكاية الحال التي يقع فيها إثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الفعل الماضي أيضاً يتخيل منه السامع المستقبل ولكن التخييل يقع في الفعلين وإلا أنه في المستقبل أوكد لاستحضار صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها ويقول في ذلك أحدهم قال: فتثير استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية من اثارة السحاب مسخراً بين السماء والأرض متكوناً في المرأى تارة عن قزع ، وكأنها قطع قطن مندوف، ثم تنضام متقلبه بين أطوار حتى يعدن ركاماً[59].

وقد ذهب النحاة إلى أن (إن) الشرطية مختصة بالمستقبل فلا يكون شرطها ولا جزاؤها بمعنى الماضي ، ولا بمعنى الحال ، و ما أوهم ذلك أوّل ، فاذا جاء في موضع الشرط أو الجزاء ، ما هو حال أو ماضي بلفظ (كان) وغيرها حمل على أنه متعلق بفعل مستقبل هو الشرط أو الجزاء في الحقيقة ، ولكنه حذف اختصاراً أو استغناءً عنه بانصراف الكلام عن معناه ، وذلك كقولك : (إن أحسنت إلى أمس أحسنت اليك

([54]) نسب لابي زيد الطائي في كتاب ابن مالك، شرح الألفية ، مرجع سابق، ص369.

([55]) سورة البقرة، ص165.

([56]) ابن عاشور، الطاهر (1419 هـ – 1998م) التحرير والتنوير، ج2، بيروت، لبنان، ص 95.

([57]) ابن الاثير ، ضياء الدين(1419هـ – 1998م) المثل السائر، حققه: كامل محمد عويضة ، منشورات محمد على بيضون،ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ص416.

([58]) سورة فاطر، الآية 9.

([59]) محمد ابوموسى(1408 ، 1988) البلاغة القرآنية، ص609.

اليوم) ، والمعنى إن تبين إحسانك أمس تبين إحساني اليوم) [60] وهنا كما قال علماء البلاغة عدل عن الأصل وهو المضارع إلى الماضي ، لأن المضارع هو الأصل ويأتي ذلك لأغراض بلاغية . وفرق العلماء بين الماضي والمضارع حين وازنوا بينهما ، فذكروا أن الماضي يدل على حدوث الحدث مره واحدة، والمضارع يفيد تكرار الحدث وتجدده نحو : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [61] جاء المضارع مع إن الشرطية (تبدو) مضارعاً لأن هذه الأحداث تتكرر و تجدد . أما قوله تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ [62] جاءت إن الشرطية مع الماضي (طلقها) لأن الطلاق لايتكرر وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [63] جاءت يشكر بصيغة المضارع، وكفر بصيغة الماضي ، وذلك لأن الشكر يتكرر ويتجدد ، وكفر بصيغة الماضي لأنه لا يتكرر.والشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد أحياناً . كقولنا : من ذاكر في المكتبه فسينجح ، وقولنا : من يذاكر في المكتبه فسينجح إذا لم نقصد غرضاً بلاغياً .وذهب الشوكاني في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ .... ﴾ [64] وفي قوله :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [65] وفي الآية الأولى ومن قتل الفعل ماضي (قتل) جاء القتل الخطأ بالفعل الماضي لانه خطأ لا يتكرر وهو قليل ، وجاء القتل العمد بالفعل المضارع (يقتل) لأنه يتكرر حيث يقول : لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ بخلاف القتل العمد وهو الاصرار على قتل المؤمن فقد جاء بصيغة المضارع الدال على الاستمرار والتجدد لأنه يتكرر وقوعه[66].

المعاني البلاغية للتقييد بالشرط في القرآن الكريم :

(التعليق هو "تفعيل من قولهم علقت السقاء وعلقت القوس إذا شددتهما بغيرهما ... وهو في لسان علماء البيان مقول على حمل الشيء على غيره لملازمة بينهما ، ثم هو وارد على وجهين أحدهما أن يكون التعليق بالشرط للدلالة على المبالغة ، ومثاله قول أبي تمام :

فإن أنا لم يحمدك عني صاغراً

عدوك فاعلم أنني غير حامد [67]

علق عدم حمده بمن يمدحه على عدم حمد عدوه على وجه الكره منه ، لكن (حمد عدوه موجوداً لأجل مدائحه.وله معنى ثان وهو (أن يأتي بشيء من المعاني بمقصد تام توطئة لما يريد ذكره بعده من معنى آخر وهذا كقول أبي نواس يهجو :

لهم في بينهم نسب

وفي وسط الملا نسب

***

(60) ابن مالك ، شرح التسهيل ، مرجع سابق، ص92.

(61) سورة البقرة ، ص271.

(62) سورة البقرة ، ص 230.

(63) سورة لقمان، ص 12.

(64) سورة النساء، الآية 93 .

(65) سورة النساء ، الآية 93.

(66) الشوكاني، محمد بن علي بن(1417هـ - 1996م) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في علم التفسير ، راجعه وعلق عليه: هشام البخاري ، وخضر عكاري ، ط1، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت، ص 498.

(67) المصباح ، مادة علق ، ص269 .

لقد زنو عجـوزاً

ولوزينها غضبـــوا [68]

فعلق هجوهم بالسخف والحماقة ، فصدره يهجو أبيهم وعلق عليه هجو أمهم والمعنى الأول هو الأقرب لمـــا نحن بصدده وذلك كما قال أحدهم في حـــديثهم عـــن أحوال المسند :(وأما تقييده بالشـــرط فلاعتبـــارات لا تعرف إلّا بمعرفة والمعـــروف مـــابين أدواتـــه مـــن تفصيل)[69]. فالبلاغيون : (اعتنوا بهذا الباب عنايـــة فائقة واهتدوا لمعان بلاغية كثيرة أفادها أسلوب الشرط لاثبات إعجاز القرآن الكريم ببلاغته ، تلك المعـــاني توصلوا إليها من خلال دراستهم لأدوات الشرط وفهم مدلولاتها واستخداماتها، وعن طريق الأفعال ودلالاتها والكل درس من خلال السياق الذي ورد فيـــه ، وقـــد قصروا الحديث على ثلاث من أدوات الشرط وهي"إنّ" "إذا"، "ولو" .ولأهمية الجانب البلاغي في القرآن الكريم لاثبات إعجازه سنتناول بعض المعاني البلاغية التـــي أفادها الشرط وهي:

1. التعريض :

التعريض كما عرفه أحد العلماء هو "أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره "[70] وعرفه آخر "بان يخاطب واحداً ومراده غيره " [71] من ذلك ما أورده الخطيـــب القزوينـــي شـــاهداً :﴿ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [72] وذكر أن الذي جعل فيه معنى التعـــريض هو السكاكي[73]. أي تعريضاً بمن صدر عنهم الإشراك بإنه قد حبطت أعمالهم ، كما (إذا شتمك أحد فتقول : والله إن شتمني الأمير لأضربنه ، ولا يخفـــي أنـــه لا معنى للتعريض بمن لم يصدر عنهم الإشراك)[74] وهنا أبرز غير الحاصل كالحاصل لغرض التعريضي كما ذهب لذلك بعضهم[75].وهنا استخدم الفعل الماضي مع "إن" للتعريض بمن يشرك بعد إيمانه لأنه من المقطوع به أن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لن يشـــرك أبداً، وما اشرك قبل النبوة فكيف بعدها (وفضل هـــذا الأسلوب على أسلوب التصريح وأنه لـــم يقـــل لـــئن أشركتم ليحبطن عملكم أن فيه أبلغيه في النسبة إلـــيهم لأن المعني إذا كان محمد وهو الحبيب المقرب يحبط عمله إن كان أشرك فكيف بغيره، ثـــم فيـــه تبلـــيغهم الموعظة عن طريق غير مباشر وهـــذا أفضـــل فـــي النفوس وأعطف لها[76].

2. التوبيخ والتجهيل :

والتوبيخ يأتي لغرض بلاغي في الشرط ليقلع المخاطب عن أمر لا يصـــح نحـــو : ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [77] فيمن قـــرأ (إن) (بالكسر) لقصد التوبيخ ، والتجهيل في ارتكـــاب الإسراف ، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هـــذا المقام واجب الانتفاء ، حقيق أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض[78] قال الزمخشري :(فإن قلـــت: كيف استقام معنى "إن" الشرطية وقد كانوا مســـرفين على البت؟ قلت : هو من الشرط الذي ذكـــرت أنـــه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوتـــه كمـــا يقول الأجير :(إن كنت عملت لك فوفني حقي) وهـــو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه

([68]) (المصباح ، مادة علق ، 268)

([69]) الصعيدي ، بغية الإيضاح، مرجع سابق ، ص186.

([70]) الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ص 373.

([71]) الزركشي ، البرهان ، مرجع سابق، ج1، ص533.

([72]) سورة الزمر، الآية 65.

([73]) القزويني ، الإيضاح ، مرجع سابق ، ص99.

([74]) السعد، مختصر المعاني ، ص 65.

([75]) ظافر بن عرمان ، بلاغة القرآن ، مرجع سابق، ص369.

([76]) محمد محمد ابو موسى ، خصائص التراكيب ، مرجع سابق، ص337 .

([77]) سورة الزخرف، الآية 5.

([78]) القزويني، الإيضاح ، مرجع سابق ، ص97.

استمهالاً له)[79] الماضي واقع ومتحقق غير مشكوك فيه ، جعل مشكوكاً فيه تنزيلاً له منزلة المستقبل استهجاناً وتشنيعاً "فإن" دخلت على الماضي أفادت إفادات كثيرة.أي أنهم قوم مسرفون في العناد حقيقة متقررة لأنهم لم يتأملوا فيما يحيط بهم من آيات بينات لانهم إن تاملوا اقتلع الشرط من أصله . فالإسراف ينبغي أن يكون منتفياً، ومن المعاني التي أفادها أسلوب الشرط في هذه الآية الإنكار الذي ساعد عليه همزة الاستفهام ،أي ما ينبغي أن يكون ذلك من العاقل، ومثاله أيضاً قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[80] جاء الشرط بـــ "إن" والفعل المضارع (ويشرك) مع أن الإشراك محقق تنزيلاً للمحقق منزلة المشكوك للتنبية على بطلان الشرك ، وفي الآية توبيخ لهم .

ونحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ ﴾[81] جاءت الأداة "إذا " . مع الضر يقول القزويني :(فلينظر إلى لفظ المس، وإلى تنكير الضر المفيد في المقام التوبيخي القصد إلى اليسير من الضر ، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضر)[82] .أفاد الشرط التوبيخ والتنبيه على أن الضر اليسير الذي مسهم حكم مقطوع به ، لأن "إذا" كما اسلفنا للشرط المقطوع بحدوثه وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾[83] أتى لفظ "إذا" للتنبيه على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشرط مقطوعاً به . فقد جاء الضر نكرة ليفيد أنه قدر يسير لأن النكرة تفيد التقليل .

3. **التغليب :**

يقول القزويني : (وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به مجئ قوله : تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[84] بـــ "إن" يحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم فإنه ، كان منهم من يعرف الحق ، وإنما ينكر عناداً)[85] ويعني البلاغيون بالتغلب إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجعله موافقاً له في الهيئة والمادة تغليباً كتغلب الذكور على الإناث في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[86] عدولاً عن القانتات تغليباً للذكور على الإناث وصار القانتون في الآية يشمل القانتات والقانتين .والتغلب يشابه ماسماه علماء البلاغة المشاكلة :(وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[87] ويتضح التغليب كذلك في نحو : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾[88] فقد اشير إلى أن (وإن تكفروا) تغليب ، حيث غلب غير المتصف بالشرط على المتصف بالشرط ففرض الشرط كما يفرض المحال، وإن كان الشك بالنسبة (إليه محالاً لكن يجري الكلام على النسق العربي ، وعلى الوجه الذي يجري عليه التقدير على تقدير أن ينطق به مخلوقاً)[89] ومنه ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[90] استعمل "إن"مع "كنتم " مع تحقق الارتياب منهم لتغلب غير المرتابين على المرتابين ويحتمل أن يكون للتوبيخ وفيه

([79]) الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق، ج3، ص378.
([80]) سورة غافر، الآية 12.
([81]) سورة الروم، الآية 33.
([82]) القزويني، الإيضاح ، مرجع سابق، ص96.
([83]) سورة فصلت، الآية 51.
([84]) سورة البقرة، الآية 23.
([85]) القزويني ، الإيضاح ، مرجع سابق ، ص98 .
([86]) سورة التحريم، الآية 12.
([87]) القزويني، الإيضاح ، مرجع سابق ، ص344.
([88]) سورة النساء، الآية 13.
([89]) الدسوقي ، حاشية الدسوقي ، مرجع سابق ، ص50 .
([90]) سورة البقرة، الآية 23.

﴿ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [91] ولم يكن شعيب عليه السلام في ملتهم وخرج منها حتى يطلق على دخوله فيها عوداً ، ولكنهم أدخلوه معهم بحكم التغليب وكثر هذا الأسلوب عند العرب ويعول على معرفته على السياق وقرائن الأحوال مع الشرط ومع غيره.

4. الرغبة :

يمكن أن يندرج تحت ما أسماه الخطيب إبراز غير الحاصل في صورة الحاصل لقوة الأسباب المتأذنة في وقوعه مثل (إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام) (فإن الطالب إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه ؛ فربما يخيل إليه حاصلاً وعليه قوله تعالى :﴿ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا ﴾ [92] وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب، حتى إذا وجد حكم الحسن بخلاف حكمه غلطه تارة واستخرج له محملاً آخر وعليه قول أبي العلا المعري :

ماسرت إلا وطيف منك يصحبُني

سُرى أمامي ، وتأويباً على أثري .

***

يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك

انتقش في خيالي ، فاعدك بي. [93]

.وقد قال الدسوقي تعليقاً على الآية السابقة :(وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ)[94] جيء بلفظ الماضي وهو (أَرَدۡنَ) ولم يقل يردن مع أن النهي عن الإكراه المعلق على ذلك استقبالي حيث قيل : (وَلَا تُكْرِهُوا....) الآية للدلالة على رغبة المولى سبحانه في إرادتهن التحصن اي للدلالة على رضا المولى بذلك ...)[95] والمراد هو كمال رضا الله تعالى . وقيل البغايا كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن، (وقيل: لتبشيع الغاصب عند إرادة الوقوع فيه ليتيقظ ويأنف من هذه الرذيلة ، وأن أمته خير منه لأنها ارادت التحصن[96].

5. التنزيه :

وهو التقديس فيه .نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾[97] جعلها البلاغيون من الإطناب (أَفَأَيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) تذييل لا يجري مجرى المثل وفي قوله تعالى :(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ) تذييل يجري مجرى المثل ، أو يخرج مخرج المثل وهنالك غرض بلاغي آخر في قوله : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) وهو تنزيه غير المشكوك فيه لأن زمن الموت مبهم يقول الرازي : (اعلم أنه سبحانه وتعالى بعد أن ذكر أصول النعم الدنيوية اتبعه بما نبه به على أن هذه الدنيا إنما جعلها كذلك لا تبقى ولا تدوم، أو يبقى فيها من خلقت الدنيا له ، بل خلقها سبحانه وتعالى للابتلاء والامتحان ولكي يتوصل بها لدار الخلود)[98] وجعل الزركشي معنى الهمزة التوبيخ والمعنى (أتنقلبون إن مات محمد)[99].

6. الاستبعاد والتوبيخ:

نحو:﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [100] استبعاد لانتفاع هؤلاء الطغاة بالذكر وتوبيخ لهم وهو كما قال أبوحيان: (وهو كما تقول : قل لفلان وأعدله إن سمعك ، فقولك:

([91]) سورة الأعراف، الآية 88 .

([92]) سورة النور، الآية 33.

([93]) القزويني الإيضاح ، مرجع سابق ، ص99.

([94]) سورة النور، الآية 33.

([95]) الدسوقي، حاشية الدسوقي ، مرجع سابق، ص63.

([96]) محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب ، مرجع سابق، ص337.

([97]) سورة الأنبياء، الآية34،35.

([98]) الرازي، فخر الدين الدين(1411هـ) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ط1 ،ج8، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص 142.

([99]) الزركشي ، الإتقان ، مرجع سابق ، ص527.

([100]) سورة الاعلى، الآية 9.

إن سمعك ، إنما هو توبيخ وإعلام إنه لم يسمع)[101] وهو إلى التوبيخ والتنبيه والتذكير أقرب .

7. التهكم والسخرية :

وهما من المعاني التي يفيدها أسلوب الشرط نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [102] هذه الآية جاءت للتحدي وانها تؤكد أن القرآن معجزة النبي (صلي الله عليه وسلم) وأن المتحدين به لن يستطيعوا أن ياتوا بمثل القرآن. وفي الآية الكريمة دليلان على إثبات نبوة محمد _ صلى الله عليه وسلم .الأول صحة كون المتحدي به معجزاً ، والثاني الإخبار بأنهم لن يفعلوا ، ولن يأتوا بمثله، وهو غيب لا يعلمه إلا الله والفعل يجرى مجرى الكناية التي تؤدي معاني مهمة لا يؤديها غيرها. وفي ذلك يقول الزمخشري :(فإن قلت لم عبر عن الإتيان بالفعل ؟ في قوله تعالى :(فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) واي فائدة في ترك الإتيان إليه؟ قلت لأنه فعل من الأفعال ، تقول : اتيت فلاناً فيُقال لك : نعم ما قلت ، والفائدة فيه انه جار مجرى الكُنابة التي تعطيك اختصاراً وايجازاً .....)[103] وعلى ذلك فإن الكناية ضُمنت معنى الشرط فازداد الكلام حسناً، أن الكناية فيها معنى الخفاء إلا أنه خفاء لجلب المتعة والاختصار .

8. التنبيه على أمر مهم :

من أغراض الشرط البلاغية التنبيه على أهمية الأمر ، ذكر الرازي أن "إن" الشرطية جاءت للتنبيه على أمور مهمة في قوله تعالى :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ ﴾ [104] يقول الرازي : (قوله تعالى : (إِنْ شَاءَ) معناه أنه سبحانه قادر على ذلك إلانه شاك ، لأنّ الشك لا يجوز على الله تعالى[105] والمراد تحريك النفوس وهزها

9. الالهاب والتهييج :

والتهييج : هو الحث على الفعل لمن يتصور منه تركه، نحو قوله تعالى :﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[106] قال الرازي : (في هذه الآية وجوه كما يلي : (واشكروا لله) إن كنتم عارفين بالله وبنعمه ، فعبر عن معرفة الله لعبادته اطلاقاً لاسم الأثر على المؤثر ، (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) أي إن صح أنكم تخصونه بعبادته وتقرون أنه سبحانه المنعم)[107] ويسمى هذا الأسلوب أسلوب الالهاب والتهييج . وحول تركيب جمله (إن كنتم إياه تعبدون) قال ابن عاشور : (من شأن (كان) إذا جاءت وخبرها جملة مضارعه تدل على الإنصاف بالعنوان لا على الوقوع بالفعل)[108] ومثال ذلك قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[109] أي إن كان هذا العلم من صفاتكم والمعنى : إن كنتم لا تشركون معه في العبادة غيره فاشكروه وحده والمراد بالعبادة الاعتقاد بالإلوهية والخضوع والمعنيان صحيحان .

10. عدم المبالغة في الكراهية :

نحو: ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [110] يقول ابو حيان : (لعل

([101]) أبو حيان، محمد بن يوسف(1413هـ - 1993م) البحر المحيط، شرح وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود ، وأخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ،ج8 ، ومطبعة دار السعاده، ص459.

([102]) سورة البقرة، الآية 24.

([103]) الزمخشري ، الكشاف، مرجع سابق، ص131.

([104]) سورة الفرقان، الآية10.

([105]) الرازي ، التفسير الكبير ، مرجع سابق، ص173.

([106]) سورة البقرة، ص172.

([107]) الرازي ، التفسير الكبير ، مرجع سابق، ص173 .

([108]) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير،ؤمرجع سابق، ص14.

([109]) سورة الاعراف، الآية176.

([110]) سورة النساء، الآية 19.

ماكرهت النفس يكون أصلح في الدين وأحمد في العاقبة وما أحببته يكون ضد ذلك)[111] والصحيح أن الأمر غير ذلك، ولكن حث على عدم المبالغة في الكراهية في الزوج ليست سبباً في وجود الخيرية في الزوجه، وهذا دليل على أنه لا يوجد سبب ومسبب بين الشرط والجواب في كل الأحوال وهنا تتوارد المعاني البلاغية لان الأصل في الشرط أن يتوقف الثاني على الأول فإن لم يتوقف كان لغرض بلاغي وقد مثلوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ فلهاث الكلب ليس متوقف على الحمل عليه أو تركه فهو يلهث على كل حال .

11. الاستحالة :

أي استحالة الشرط، لأن الشرط قد يكون ممكناً في نفسه كقولنا : إن كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً، وقد يكون مستحيلاً فيفيد الاستحاله : وذلك نحو : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [112] فالأول وهو نسبة الولد لله باطلاً ويلزم منه بطلان الثاني وقد جاء على صورة مذهب الكلام وهو محسن معنوي وهو (أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام)[113] وعليه جاء قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [114].يعلمون امتناع فسادهما ، وعلمهم هذا هو مناط الدليل ، فكونهم يعلمون أن الفساد منتف ملزم لهم بالعلم بإمتناع تعدد الآلهيه– والمراد توضيح الاستحالة أي استحالة تعدد الآلهيه ولو تعددت لفسدت السموات والأرض ، والسماوات والأرض لم تفسدا إذن الإله واحد ، وقد ذهب بعضهم أن الغرض إلزامهم الحجة وتبكيتهم وتوبيخهم.

12. التكثير والتقليل :

نحو : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[115] عبر عن المستقبل بما الأصل فيه أن يعبر عنه بالماضي ، وذلك لكونه واقعاً في حيز (رُبّ) التي كفتها (ما) عن العمل قيل :(فإن أريد به التقليل فالمعنى: أنه تدهشهم أهوال القيامة فيبهتون فإن وجدت منهم إفاقة ماتمنوا ذلك والتكثير باعتبار أن الكفار في حالة إفاقتهم دائماً يودون كونهم مسلمين، فالتكثير نظراً للتمني في نفسه التعليل نظراً إلى أن أكثر أحوالهم الدهشة والأوقات التى يقضيون فيها ويتمنون الإسلام قليله[116] فنزل المضارع منزلة الماضي عدولاً ليفيد أحد الغرضين التقليل أو التكثير.

13. استحضار الصورة المرتقبة للتهويل والتخويف والانذار:

نحو :﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [117] استخدام الفعل (تسوى) مع لو الشرطية مع أن لو يأتي معها الماضي وذلك لغرض بلاغي وهو : (إرادة استحضار صورة مستقبلية ، للتهويل والتخويف وذلك لحمل المؤمن على الاجتهاد في طلب النجاة، وتخويف الكافر وتهديده إن هو استمر على كفره وإنصرافه عن الحق . مع أن لو حرف امتناع لامتناع فحصول الشرط غير مقصود ، وقد يكون ممكن الحصول، وشرطها وجوابها مفروضان إلا أنه ينبغي الإشارة إلي أن المضارع الواقع بعدها قد يقع موقع الماضي)[118] والتعبير بالمضارع جعل الحدث يكون مشاهداً حاضراً.

([111]) ابوحيان(1413هـ – 1993م) البحر المحيط ، ج3، ص205.

([112]) سورة الزخرف، الآية81.

([113]) القزويني، الإيضاح، مرجع سابق، ص360 .

([114]) سورة الأنبياء، الآية 22.

([115]) سورة الحجر، الآية2.

([116]) حاشية الدسوقي ، مرجع سابق، ص87.

([117]) سورة النساء، الآية 42.

([118]) ظافر بن عرمان، بلاغة القرآن ، مرجع سابق، ص255.

تنزيل المقطوع بوقوعه منزلة غير المقطوع بوقوعه / للحث والسعي :

نحو : ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[119].استخدام الفعلين (ينصركم) (ويخذلكم) مع (إن) الشرطية مع أن الأصل وقوع الماضي شرطا لها، لكن عدل عن الأصل واستخدم المضارع معها لأن الأصل في الشرط الاستقبال واستخدامها هنا لغرض بلاغي وهو الحث على تعاطي أسباب النصر، فالله سبحانه وعد عباده المؤمنين بالنصر وجئ بالشرط للحث على السعي وعدم التهاون لينالوا النصر.

و مثل ذلك تنزيل الواقع منزلة المشكوك في وقوعه . نحو ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [120] استخدام (إن) مع المضارع(لا يهدي)، والخطاب للنبي علية الصلاة والسلام – وحرص النبي – صلي الله علية وسلم – على هداية أمته واقع متحقق ، و لكن جاء في الآية شرطاً مشكوكاً في وقوعه فهو تنزيل للواقع منزلة المتوقع غير المقطوع به لغرض بلاغي وذلك لحثهم للسعي لطلب الهداية . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[121] الخطاب للمؤمنين جاء في الآية فعل المضارع (تتقوا) المسبوق بان الشرطية الدالة على الشك ، مع أن المخاطبين هم المؤمنين ، وليس ذلك شكاً في تقواهم ، وإنما جعلت التقوى شرطاً غير مجزوم بوقوعه لحثهم على الاستزادة من الأعمال الصالحة والتقوى .ومثله نحو قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ ﴾ [122].الشرط في قوله تعالى : (وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) استخدم إن مع المضارع ، والخطاب للمؤمنين الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى، رغم ذلك استخدم أسلوب الشرط المشكوك فيه للحث على دوام الإيمان والتقوى وترغيباً في المداومه على الايمان والتقوى والثبات .فنزل الشرط المقطوع بوقوعه منزلة الشرط غير المقطوع بوقوعه لذلك الغرض وهو إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل للتأكد والتحقيق والتفاؤل والرغبة وهو من (استخدام "إن" لإبراز غير الحاصل في صورة الحاصل لقوة الأسباب المتآذرة)[123] . وتحدث القزويني عن ذلك في معرض حديثه عن إن ، و إذا الشرطيتين فهو العدول إلي الماضي بعد إن لإبراز غير الحاصل في صورة الحاصل نحو قوله تعالى : (وما أريد أن اشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين)[124] فقد جُعل وفاؤه مبنياً على مشيئة الله ودخول حرف الشرط لأن مشيئة الله تعالى مستبعدة ، لكن لأنها من الغيبيات التي يتراخى زمن "حدوثها" ..[125] وصيغة المعنى تدل على التحقيق وتدل على التفاؤل بتحقيق مشيئة الله ووفاءه بما ألتزم من العهد .

14. تنزيل الممكن منزلة المتحقق للتخويف والتحذير :

نحو : (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)[126] جئ باذا التي تفيد مع الماضي القطع بوقوع الشرط تنزيلاً للمكن منزلة المتحقق للتخويف والتحذير) (فإذا امتنع رد السوء فغيره كذلك)[127] قيدت الإرادة بالسوء في الآية لأن المقام

([119]) سورة آل عمران، الآية 160.
([120]) سورة النحل، الآية 37.
([121]) سورة الأنفال، الآية 29.
([122]) سورة محمد، الآية 36.
([123]) القزويني ، الإيضاح ، مرجع سابق، ص99.
([124]) سورة القصص، الآية 27.
([125]) ظافر بن عرمان، بلاغة القرآن، مرجع سابق، ص365.
([126]) سورة الرعد، الآية11.
([127]) شهاب الدين، حاشية الشهاب، د . ت ، ج5، ص 226.

مقام تخويف وتحذير وأما الإرادة التي وقوعها ممكن وليس بواجب فهي الإرادة الشرعية وغير مراده في هذه الآية .

قد ياتي الأسلوب الشرطي مزيناً بالاستعارات مما يزيد الكلام حسناً ووضوحاً نحو :﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ [128] يوجد استعارتان في الآية أدتا دورهما في إجلاء المعنى وتوضيحه مع أداة الشرط ، الأولى في نكثوا والنكث هو : (نقض الحبل المفتول في الأصل)[129] ومن المجاز نكث العهد والبيعة .الثانية – في (وطعنوا في دينكم) والطعن (وخذ الشيء بالرمح أو ما يجري مجراه من الآليات الحديدية)[130] أما الطعن في الدين فهو إما حربهم للمؤمنين لينقضوا دينهم ويميتوا شريفهم، وإما أن يكون المراد بسط ألسنتهم في ذم الدين ورميه بالعيوب.

15. **الاستئناس :**

نحو :﴿ قُلۡ إِنِ ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠ ﴾ [131].فهنا (إن) الشرطية مع فعلها وفي سياقها أفادت (تبيين الحال على وجه يأنس به المخاطب)[132].

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إكمال البحث في كلامه ، وقد أردته أن يكون اجتهاداً من بين الاجتهادات التي تهتم بفهم كتاب الله وتجلية مقاصده بعد الاستعانه بالله ، والاستفادة مما كتبه السابقون الذين بذلوا حياتهم في البحث والتمحيص للوصول لاسرار ومعاني الذكر الحكيم رحمهم الله جميعاً، وقد توصل البحث إلى النتائج التالية :

1-معاني النحو عند عبدالقاهر في نظريته النظم تعني معني المعنى أي إفادات الأساليب لمعانٍ ثوانٍ لاسيما أسلوب الشرط، فللشرط دور كبير في تقييد المسند (الفعل) ويأتي غالباً لأغراض بلاغية ولذا يكون الشرط أحد مفاتيح إعجاز القرآن الكريم ، ودليل النبوة.

2-الشرط والجزاء مهما كانت صيغة كل منهما فإن زمنهما يخلص للاستقبال ، ولا بد أن يتغايرا فإن اتحدت صيغتهما احتاجا إلي تاويل وإن كان فعلهما ماضي اللفظ فهو مستقبل المعنى ، ولا يكون الشرط غير مستقبل المعنى ولا دالاً على الحال ، فإن جاء ماهو حال أو ماضٍ من الأفعال عدل به عن معناه ليفيد الشرط وهو المستقبل وفاضت سياقات الشرط بمعان بالغة الدقة والجمال ، وكان اهتمام البلاغيين أكثر بوقوع الماضي شرطاً لانه معدول به عن استعماله الأصلي .

3-الأدوات التي أفردها علماء البلاغة بالدراسة ، وأفردناها نحن هي (إنْ) و (إذا) و (لو) لعلاقتها الوطيدة بالمعنى ودلالاتها الوفيرة ، ومرونتها وخروجها عن أصل وضعها لتفيد معاني وأغراضاً بلاغية .

4-أدوات الشرط وأفعاله ما جاء على الأصل وما خرج عن أصل وضعه بمعونة السياق والمقام وقرائن الاحوال أفاد في القرآن معاني بلاغية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

التوبيخ ، وتصوير أن المقام لا يصح إلا لفرضه ، لغرض التوبيخ والتجهيل ، والتغليب ، والتعريض، والتنزيه ، وتنزيل المقطوع بوقوعه منزلة غير المقطوع للحث بوقوعه للحث والسعي ، وإخراج غير الحاصل في معرض الحاصل.وعلى ذلك فإن فضل أسلوب الشرط في القرآن الكريم أنه مثل قيمته في

([128]) سورة، التوبة، الآية 12.

([129]) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص472.

([130]) الشريف الرضي ، مجازات القرآن ، ص 70 .

([131]) سورة سبأ، الآية 50.

([132]) الزركشي، الإتقان، مرجع سابق، ص535.

الدعوة إلي إمتثال أوامر الله واجتناب نواهيه بصدق ، وهو أسلوب حسن لأنه تُرك التصريح بنسبة الباطل إلى المخاطبين لكي يقبل .

التوصية:

يمكن أن نستثمر دراسة أسلوب الشرط والمعاني التي يفيدها في زيادة البحث في تلك المعاني و الغوص في كتاب الله، و البحث في الحديث الشريف لاستجلاء معانيها ، والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1. الخطيب القزويني(2008م – 1428 هـ) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت .
2. الجرجاني، عبد القاهر(1417هـ – 1997م) دلائل الإعجاز ، شرحه وعلق عليه ، د. محمد التنجي ، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت.
3. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (1427 هـ – 2006م) البرهان في علوم القرآن، حققه: أحمد على، أبي الفضل الدمياطي ، ج1، دار الحديث ، القاهرة.
4. السيوطي، جلال الدين(2006م – 1426هـ) الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: حامد أحمد الطاهر بسيوني، دار الفجر القاهرة .
5. محمد محمد أبو موسى(1427هـ – 2006م) خصائص التراكيب، مكتبة وهبة ، القاهرة .
6. الصعيدي، عبد المتعال(د.ت) بغية الإيضاح ، ج1، مكتبة الآداب ومطبعتها بالحما ميزه.
7. الدسوقي، محمد ابن أحمد(1423هـ) حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، ج2، مكة المكرمة ، دار الباز مصطفى محمد عرفة.
8. ابن مالك، جمال الدين محمد(1410 هـ) شرح التسهيل، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي ط1،ج4، دار الهجرة ، جيزة ابن مالك ابن مالك محمد ابن أحمد ، التسهيل.
9. الزمخشري ، محمود بن عمر (1385هـ – 1966م) الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج4، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر.
10. الجرجاني، عبد القاهر(1413هـ – 1992م) دلائل الإعجاز ، شرحه وعلق عليه: د. محمد التنجي، ط2، دار الكتاب العربي.
11. ابن جني، عثمان بن جني(1376 هـ) الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار، ج2، دار الكتب المصرية القاهرة.
12. ظافر بن عرمان العمري(1429هـ – 2008م) بلاغة القرآن ، ط2، مكتبة وهبة ، القاهرة .
13. سيبويه، عمرو بن عثمان(1408هـ) الكتاب، تحقيق: وشرح عبد السلام هارون ، ط3 ، دار الكتب العلمية .
14. ابن مالك، جمال الدين محمد(1421هـ – 2000م) شرح بن عقيل ، تحقيق: محمد محي الدين ، دار الفكر، ج1، بيروت، لبنان.
15. ابن عاشور، الطاهر (1419 هـ – 1998م) التحرير والتنوير، ج2، بيروت، لبنان.
16. ابن الاثير ، ضياء الدين(1419هـ – 1998م) المثل السائر، حققه: كانل محمد عويضة ، منشورات محمد على بيضون،ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
17. محمد ابو موسى(1408 – 1988) البلاغة القرآنية.
18. الشوكاني، محمد بن علي بن(1417هـ – 1996م) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في علم التفسير ، راجعه وعلق عليه: هشام البخاري ، وخضر عكاري ، ط1، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت.

19. الرازي، فخر الدين الدين(1411هـ) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ط1 ،ج8، دار الكتب العلمية ، بيروت.
20. أبو حيان، محمد بن يوسف(1413هـ – 1993م) البحر المحيط، شرح وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود ، وأخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ،ج8 ، ومطبعة دار السعاده.
21. ابوحيان(1413هـ – 1993م) البحر المحيط ، ج3.
22. شهاب الدين، حاشية الشهاب، د . ت ، ج5.